

العلم بواسطة القسم العلمي

ثلاثة أمور كلها تحتم على الشباب أن يحرص على طلب

أولاً: بدء بدأت تظهر شروطها.

ثانياً: أناس يتطلعون إلى الإفتاء بغير علم.

ثالثاً: جدل كثير في مسائل قد تكون واضحة لأهل العلم لكنه يأتي منه يجادل فيها

بغير علم.

ثلاثة أمور كلها تحتم على الشباب أن يحرص على طلب العلم:

أولاً: بدء بدأت تظهر

شروطها.

ثانياً: أناس يتطلعون إلى الإفتاء بغير علم.

ثالثاً: جدل كثير في مسائل قد تكون واضحة

لأهل العلم لكنه يأتي منه يجادل فيها بغير علم.

فمن أجل ذلك فتحه في ضرورة إلى أهل علم عندهم رسوخ

وسعة اطلاع، وعندهم فقه في دين الله، وعندهم حكمة في توجيه عباد الله لأن كثيراً من الناس الآن يحصلون

على علم نظري في مسألة من المسائل ولا يهتمهم النظر إلى إصلاح الخلق وإلى تربيتهن، وأنهم إذا أفتوا

بكذا وكذا صار وسيلة إلى شر أكبر لا يعلم مداه إلا الله.

٤- أن ينوي بطلب العلم الدفاع عن الشريعة؛

لأن الكتب لا يمكنه أن تدافع عن الشريعة، ولا يدافع عن الشريعة إلا حامل الشريعة، فلوا أن رجلاً من أهل

البدء جاء إلى مكتبة حافلة بالكتب الشرعية فيها ما لا يحصى من الكتب، وقام يتكلم ببدعة ويقررها فلا

أظه أن كتابا واحدا يرد عليه، لكه إذا تكلم عه عهء شخص من أهله العلم ببعءه لبقرها فإن طالب العلم يرد عليه ويحض كلامه بالقرآن والسنة.

فعلى طالب العلم أن ينوى بطلب العلم الدفاع عه الشريعة ؛

لأن الدفاع عه الشريعة لا يكون إلا برجالها كالسلاح تماما، لو كان عهءنا أسلحة ملأت خزائنها فعهل هذه

الأسلحة تستطيع أن تقوم من أجل أن تلقي قذائفها على العدو؟ أو لا يكون ذلك إلا بالرجال ؟

فالجواب:

لا يكون ذلك إلا بالرجال، وكذلك العلم.

ثم إن البدء تنجد، فقد توجد بدء ما حدث في الزمن الأول

ولا توجد في اللب فلا يمكن أن يدافع عنها إلا طالب العلم، ولهذا أقول:

إن ما يجب مراعاته لطالب

العلم الدفاع عه الشريعة، إذن فالناس في حاجة ماسة إلى العلماء؛ لأجل أن يردوا على كيد المبغض وسائر

أعداء الله □ عز وجل □ ولا يكون ذلك إلا بالعلم الشرعي المتلقي من كتاب الله وسنة رسوله .

0- الأمر

الرابع: رحابة الصدر في مسائل الخلاف:

أن يكون صدره رحبا في مواطء الخلاف الذي مصدره الاجتهاد ؛ لأن

مسائل الخلاف بين العلماء، أما أن تكون مما لا مجال للاجتهاد فيه ويكون الأمر فيها واضحا فهذه لا يعذر

أحد بمخالفتها، وإما أن تكون مما للاجتهاد فيها مجال فهذه يعذر فيها من خالفها، ولا يكون قولك حجة على

من خالفك فيها؛ لأننا لو قبلنا ذلك لقنا بالعكس قوله حجة عليك.

وأنا أريد بهذا ما للرأي فيه مجال،

ويسخ الإنسان فيه الخلاف، أما من خالف طريق السلف كمسائل العقيدة فهذه لا يقبل من أحد مخالفة ما كان عليه السلف الصالح، لك في المسائل الأخرى التي للرأي فيها مجال فلا ينبغي أن يتخذ من هذا الخلاف مطعنه في الآخريه، أو يتخذ منها سبب للعداوة والبغضاء .

فيجب على طلبة العلم أن يكونوا إخوة، حتى وإن

اختلفوا في بعض المسائل الفرعية، وعلى كل واحد أن يدعو الآخر بالهدوء والمناقشة التي يراد بها وجه

الله والوصول إلى العلم، وبهذا تحصل الألفة، وينزل هذا العنت والشدة التي تكون في بعض الناس، حتى قد

يصل بهم الأمر إلى النزاع والخصام، وهذا لا شك يفرح أعداء المسلمين والنزاع بين الأمة من أشد ما يكون

في الضرر قال الله تعالى: [وأطيعوا الله ورسوله ولا تنازعوا فتقاً شلوا وتذقوا عذاباً منكم] واحصوا ببروا إن

الله مع الصابرين] (الأنفال، الآية: ٦٤) .

٦- أن يعمل طالب العلم بعلمه عقيدة وعبادة، وأخلاقاً

وآداباً ومعاملة ؛ لأن هذا هو ثمرة العلم وهو نتيجة العلم، وحامل العلم كالحامل لسلاحه، إما له وإما

عليه، ولهذا ثبت عن النبي e أنه قال: ((القرآن حجة لك أو عليك)) (١) . لك إن عملت به، وعليك إن لم

تعمل به.

٧- والصحابة كان النبي صلى الله عليه وسلم يحدثهم بأشياء قد تكون غريبة وبعيدة عن

أفهامهم، ولكنهم يتلقون ذلك بالقبول لا يقولون: لم؟ وكيف؟ بخلاف ما عليه المتأخرون من هذه الأمة، نجد

الواحد منهم إذا حدث حديث عن الرسول وحوار عقله فيه نجده يورد على كلام الرسول الإيرادات التي تستشف

منها أنه يريد الاعتراض لا الاسترشاد، ولهذا يحال بينه وبينه التوفيق، حتى يرد هذا الذي جاء عن الرسول

صلى الله عليه وسلم لأنه لم يتلقه بالقبول والتسليم.

٨-، وكثير من الناس عندهم غيرة وحب للخير،

ولكن يسعون الناس بأخلاقهم، نجد عنده شدة وعنف حتى في مقام الدعوة إلى الله ﷻ عز وجل، نجده يستعمل العنف والشدة، وهذا خلاف الأخلاق التي أمر بها الله - عز وجل. واعلم أن حسه الخلق هو ما يقرب إلى الله ﷻ عز وجل ﷻ وأولى الناس برسول الله وأدناهم منه منزلة أحاسنهم أخلاقا كما قال صلى الله عليه وسلم ((إن من أحبكم إلي وأقربكم مني مجلسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا، وإن أبغضكم إلي وأبعدكم مني يوم القيامة الثرثارون والمتشدقون والمفيعقون))

٩- أن يكون متحليا بالحكمة، حيث يقول الله تعالى:

ﷻ حَكَ ﷻ مِمَّا يَشَاءُ وَمِمَّا يُوْتَى ﷻ تِ الْ ﷻ حَكَ ﷻ مِمَّا يَفْقَدُ ﷻ أَوْ تِي ﷻ خِي ﷻ رَا كَثِيرَا] (البقرة: الآية ١٢٦) والحكمة أن يكون طالب العلم مريبا لغيره بما يتخلق به من الأخلاق، وبما يدعو إليه من دين الله ﷻ عز وجل ﷻ بحيث يخاطب كل إنسان بما يليق بحاله، وإذا سلكنا هذا الطريق حصل لنا خير كثير كما قال ربنا ﷻ عز وجل:- (وَمِمَّا يُؤْتَى ﷻ تِ الْ ﷻ حَكَ ﷻ مِمَّا يَفْقَدُ ﷻ أَوْ تِي ﷻ خِي ﷻ رَا كَثِيرَا) (البقرة: الآية ١٢٦).

والحكيم هو : الذي ينزل الأشياء

منزلها ، لأن الحكيم مأخوذ من الإحكام وهو الإتقان، وإتقان الشيء أن ينزله منزلته، فينبغي بل يجب على طالب العلم أن يكون حكيما دعوته.

١٠- وإذا تأملنا ما عليه كثير من الدعاة اليوم وجدنا أن بعضهم

تأخذه الغيرة حتى ينفذ الناس من دعوته، لو وجد أحدا يفعل شيئا محرما لوجدته يشهر به بقوى وبشدة يقول:

ما تخاف الله، ما تخشى الله، وما أشبه ذلك حتى ينفذ منه، وهذا ليس بطيب؛ لأن هذا يقابل بالضد، وقد قال

شيخ الإسلام ابن تيمية ﷻ رحمه الله ﷻ لما نقل عنه الشافعي ﷻ رحمه الله ﷻ ما يراه في أهل الكلام، حينما

قال: ((حكمتي في أهل الكلام أ، يضربوا بالجريد والنعال ويطاف بهم في العشائر ويقال: هذا جزاء من ترك

الكتاب والسنة، وأقبل على الكلام)).

قال شيخ الإسلام: إن الإنسان إذا نظر إلى هؤلاء وجدهم مستحقين

لما قاله الشافعي من وجه، ولكنه إذا نظر إليهم بعينه القدر والحيرة قد استولت عليهم والشيطان قد استحوذ عليهم، فإنه يرق لهم ويرحمهم، ويحمد الله أن عافاه مما ابتلاهم به، أو توا زكاء وما أوتوا زكاء، أو أوتوا فهو ما وما أوتوا علوما، أو أوتوا سمعا وأبصارا وأفئدة فما أغنى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفئدتهم من شيء.

هكذا ينبغي لنا أيها الأخوة أن ننظر إلى أهل المعاصي بعينيه: عينه الشرع، وعينه القدر

، غير الشرع إي لا تأخذنا في الله لومة لائم كما قالت تعالى عن الزانية والزاني: [فاجلوا كل واحد

منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله] (النور: الآية ٢٠)

وننظر إليهم بعينه القدر

فندرحمهم ونرفق لهم ونعاملهم بما نراه أقرب إلى حصول المقصود وزوال المكروه، وهذا من آثار طالب العلم بخلاف الجاهل الذي عنده غيرة، لكنه ليس عنده علم، فطالب العلم الداعية إلى الله يجب أن يستعمل الحكمة.

١١- الأمر الثامن: أن يكون الطالب صابرا على العلم:

أي مثابرا عليه لا يقطعها ولا يمل بل يكون

مستمرا في تعلمه بقدر المستطاع، وليصبر على العلم، ولا يمل فإن الإنسان إذا طرقة الملك استحسن وترق،

ولكنه إذا كان مثابرا على العلم فإنه ينال أجر الصابرين من وجه، وتكون له العاقبة من وجه آخر، واستمع

عز وجل : (تلك آيات من آياتنا التي نوحيناها إليك ما كنت تعلمها أن تكون

ولا فوئك من قبلك هذا فاصبر إنك إنك عاقبة لك متقيا) (هود الآية: ٩٤)

٢١- الأمر التاسع: احترام

العلماء وتقديرهم:

إن على طلبة العلم احترام العلماء وتقديرهم، وأن تتسع صدورهم لما يحصل من اختلاف

بين العلماء وغيرهم، وأن يقبلوا هذا بالاعتذار عما سلك سبيلاً خطأ في اعتقادهم، وهذه نقطة مهمة جداً؛

لأن بعض الناس يتتبع أخطاء الآخرين، ليتخذ منها ما ليس لائقاً في حقهم، ويشوش على الناس سمعتهم، وهذا

أكبر الأخطاء، وإذا كان اغتياب العامي من الناس من كِبائر الذنوب فإن اغتياب العالم أكبر وأكبر؛ لأن

اغتياب العالم لا يقتصر صدره على العالم بل عليه وعلى ما يحمل من العلم الشرعي.

والناس إذا زهدوا

في العالم أو سقط من أعينهم تسقط كلمته أيضاً. وإذا كان يقول الحق ويهدي

إليه فإن غيبة هذا الرجل

لهذا العالم تكون حائلاً بين الناس وبين علمه الشعري، وهذا خطره كبير وعظيم.

أقول: إن على هؤلاء

الشباب أن يحملوا ما يجري بين العلماء من الاختلاف على حسنة النية، وعلى الاجتهاد، وأن يعذروهم فيما

أخطأوا فيه، ولا مانع أن يتكلموا معهم فيما يعتقدون أنه خطأ، ليبينوا لهم هل الخطأ منهم أو من الذي

قالوا إنهم أخطأوا؟ لأن الإنسان أحياناً يتصور أن قول العالم خطأ، ثم بعد المناقشة يتبين له صوابه.

والإنسان بشر ((كل أبه آدم خطأ وخير الخطائين التوابون)) (١)

وكذلك أيضاً ما يحصل من الأخطاء

من الأمراء، لا يجوز لنا أن نتخذ ما يخطئون فيه سلماً للقدح فيهم في كل شيء، ونتعاضى عما لهم من

الحسنات؛ لأن الله يقول في كتابه: (يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامية لله شهداء بال □ قس □ ط □ ولا يح □ رمئ □ □

شأن قو □ ع □ على ألا تح □ دلوا) (المائدة: الآية ٨). يعني لا يحملكم بغض قوم على عدم العدل، فالعدل واجب،

ولا يحل للإنسان أن يأخذ زلات أحد من الأُمراء أو العلماء أو غيرهم فيشيعها بين الناس ، ثم يسكت عن حسناتهم، فإن هذا ليس بالعدل . وقس هذا الشيء على نفسك لو أن أحدا سلب عليك وصار ينشر زلاتك وسيناتك، ويخفي حسناتك وإصابتك ، لعددت ذلك جناية منه عليك، فإذا كنت ترى ذلك في نفسك؛ فإنه يجب عليك أن ترى ذلك في غيرك، وكما أشدت آتفا إلى أن علاج ما تظنه خطأ أن تتصل بمنه رأيت أنه أخطأ، وأن تناقشه، وتبييه ذلك في غيرك، وكما أشدت آتفا إلى أن علاج ما تظنه خطأ أن تتصل بمنه رأيت أنه أخطأ، وأن تناقشه، وتبييه ذلك في غيرك .

فكم من إنسان بعد المناقشة يرجع عن قوله إلى ما يكون هو الصواب، وكم من

إنسان بعد المناقشة يكون قوله هو الصواب، وظننا هو الخطأ. ((فالمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا))

(١) وقد قال النبي صلى الله عليه وسلم : ((من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته وهو

يؤمن بالله واليوم الآخر وليأت إلى الناس ما يحب أن يؤتى إليه)) (٢) ، وهذا هو العدل

والاستقامة.

المرجع : كتاب العلم

لفضيلة الشيخ: محمد به صالح العثيمين رحمه الله تعالى